

الجوع

✽ لامين الربحاني ✽

إذا نضبت في البلاد الأنهار ، واستحالت السماء نجاساً حامياً ترسل اشعة
شمسها نعمة وانتقاماً ، فتحرق الاشجار ، وتأكل النبات ، وتجفف الأرض ،
وتجعل الحقول كالصحراء ، يحدث في الناس مجاعة لا يد جانية فيها للانسان
وإذا غزا الجراد زرع امة ومروجها ، يلتهم الاخضر واليابس كشمس
النفود في الصيف ، فلا يترك وراءه شيئاً يصلح للغذاء ، يحدث في البلاد
مجاعة لا يد ائيمة فيها للانسان .

وإذا القى الوباء في امة عصاه ، وشرع يفتك فيها فتكاً ذريعاً أوجب
عليها النطاق الصحي فابعداها من خيرات الارض خارج تخومها ، قد تجهز
عليها مجاعة لا يد جانية فيها للانسان

وإذا كانت امة في حرب فحاصرها العدو وحبس عنها الزاد فأبت التسليم
صاغرة ، قد تهلك جوعاً ، ولا ذنب في ذلك على العدو او عليها اما اذا وطأ
الجيش المحاصر ارضها وأبت البقية الباقية الرضوخ والاستكانة ملجة في
العصيان فقد يتخذ الفاتح التجويع طريقة للاستيلاء التام وقد يكون الذنب
في ذلك عليها .

ولكن امة طائعة اولياء امرها ، امة مخلدة الى السكينة ، امة بريئة ظاهرة

يا دار!

✽ لرشيد أبوب ✽

لله علم الخفايا وما تكن الطوايا
هيئات اسلو دياراً قضيت فيها صبايا
فيها الرفاق اقاموا ثم استحووا المطايا
يا قلب لولا التأسى لمرت مني شظايا
لا بد تصفو الليالي وفي الزوايا خبايا
وانت ، يا حسن صبري ، لولاك رثت قوايا
يا نجم ، لو كنت تبكي ، لما بكيت سوايا
فكم سهرت الليالي اشكو اليك هوايا
يا دار ، هل فيك باق ما بين تلك البقايا ؟
جئت نفسي هموماً كأنها حملايا
بيني وبينك بحر موج فيه المنايا
حرب ضروس ، ولكن احداثها في حشايا
لا طارعتني القوايا حتى وشت يدايا
اذا انتضيت يراعاً وما طعنت عدايا
فصادقي ، يا دراري وسجلي ، يا برايا
حتى يجي زمان حر كريم السجايا
العرب فيه ملوك والترك فيه رعايا

الذليل ، تربأ على الضيم صبورة ، سكوتة ، جلودة ، تربتها في الأقل لم تزل جيدة ، انهارها لم تزل جارية ، ساوؤها لم تزل مقيمة على عهدها ترسل غيثها خيراً شتاءً ربيعاً — في مثل هذه الامة لا تحدث مجاعة الا لاجد امرين — لجبل فيها او لجور في اولياء امرها .

والمجاعة التي لا يد فيها للطبيعة او للقضاء او لله انما هي جناية الانسان الكبرى على اخيه الانسان .

ان خيرات الارض لتكفي ابناء الارض وان التكافل والتعاون لمن اوليات الوجود الانساني الحضري منه والمدني . فاذا اغفلنا الان البحث في اسباب المجاعة ونظرنا في نتائجها فقط تحتم علينا النظر ايضاً في الطرائق النعمالة لازالتها — ولازالتها سريعاً .

امة صغيرة في بقعة قصية من الارض تنصور اليوم جوعاً . وامة كبيرة عزيزة الشأن عظيمة الصولة يفيض عنها من خيراتها أليس من العدل اذاً — بل من الواجب المقدس ان نأخذ مما فاض عن هذه لنطعم تلك المجاعة ؟ نعم . وما يصح في الامم يصح في الافراد . وهذا التعديل في خيرات الارض عدل لا فضل فيه لمن اعطى ولا شكر عليه ممن قبل العطاء .

الامة المنكوبة امتنا ايها الناس . الجياع فيها اخواننا . وان الفائض عنا اليوم لا حق لنا به البتة . لا والله . ليس ما فاض من خيرنا اليوم لنا بل هو للجياع في بلادنا . ولو كنت من اولي السيادة والسلطان لاخذت اليوم من الشعبان لاطعم الجائع — لفرضت على كل سوري مقداراً من المال

يدفعه راضياً او مكرهاً .

وماذا يضر السوري لو دفع اليوم دولاراً واحداً لاغاثة اخوانه في الوطن - دولاراً واحداً على كل سوري الفقير والغني سواء .

اني من اصحاب الرأي لا اصحاب السيادة لذلك لا استطيع ان اضرب ضريبة هي حق والله على كل سوري . ولكنني عملت بطريقتي وبحقي فدعوت اخواني في المهجر في مقال سبق الى الصوم يوماً واحداً يدفعون ما يوفرون في هذا اليوم اعانة للمنكوبين . وقلت اننا اذا خبرنا الجوع نرتي لجمال الجائع فنسرع لاغاثة .

وكي لا يقال اني ابشر بما لا افعل بدأت بنفسي عاملاً برأيي . فاني محاسب لتلقي اذا مال وللساني اذا قال . لذلك صمت عن الاكل والشرب والتدخين يومين وصلاً . ودفعت نفقة اليومين الى اللجنة وجئت في هذا المقال اطلع القارئ على ما خبرته من نتائج الصوم ومفعول الجوع فاذا كانت كلمتي في الصوم ذهبت ادراج الرياح عسى ان يوءثر عملي فيحمل اخواني في المهجر على الاقتداء بي

من الساعة السابعة مساءً حين بدأت اصوم حتى الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم الثاني لم اشعر قط بالجوع . ولكنني احسست بطنين في اذني وبتجفئ في لساني . وبشيء من المرة في فمي . على اني في الساعة السابعة اي بعد مرور اربع وعشرين ساعة بدأت اشعر نوعاً بالجوع وبالعطش وبشيء من الدوار .

كنت اصيل هذا النهار اتمشى وصديق لي في احد شوارع المدينة فمررنا بمطعم 'صفت في شباكه انواع الخبز والكعك والحلويات فوقفت امام الزجاج الحائل دوني وتلك الجنة ناسياً ذاتي امثل في نفسي ولداً فقيراً جائعاً لا فلس في يده يفتأ به سورة جوعه . احترقت الزجاج عيناى وما فيها من نعمة الى الاكل فتحلب اللعاب في فمي ففصصت بمر مذاقه وترغرغت عيناى بالدموع . هنا وانا لا اشعر حقاً بمضض الالم في معدة فارغة وقلب يفتقر شواء لاني اجوع مختاراً والمسكين الذي صورته امامي بل امام تلك الماء كل المصفوفة وراء الزجاج يجوع مكرهاً . ان جوعي ينتهي ساعة اريد واما جوعه فلا يزول الا ساعة يتصدق عليه احد المحسنين . قفلت في نفسي ان حالة اجتماعية توجد مثل هذا المسكين الجائع لحالة ذميمة ، منكرة ، فاسدة ، جهنمية . واذا كانت كذلك فكيف بها والمسؤلون عنها يجوعون عدداً امة باسرها ؟

لقد شاركتك جوعك يا اخي فتعال اقسامك كسرتي . عله تعالى يبعثني من ذل الحاجة والاستجداء الذي هو اشد ويلآ من مضض الالم الذي يولده الجوع . ألا فليردد كل سوري هذا الكلام - هذا الابهال وليمثل حول مائدته الفاخرة صيباً فقيراً عضه الجوع ، انهكه ، اقعده ، اضناه ، لورثه المزال والحبل ، فيسارع الى اغاثته .

ومن غريب امر الصوم ان صاحبه لا يشعر بالجوع الا في الساعات التي اعتاد ان يأكل فيها . فاني بعد ان نت الساعة العاشرة استفتقت نصف الليل

ولا اثر في نفسي للصوم ، كأني قضيت البارح وقد اكلت على عادتي ثلاث مرات .

ولكنني نهضت صباح اليوم الثاني وفي ساعة الفطور نهمة الى الاكل . وهذا لا شك من قبيل العادة . على ان مظاهر الجوع ازدادت نوعاً وشدة . فتحت فمي فاذا به كالقطن جفافاً . بلمت ما تحلب من رضائي اذ مررت بركوة القهوة فاذا به امر من الحنظل . نظرت الى لساني فاذا به ابيض كالخليب . لمست بصبعي فاذا به كعباءة الراهب خشونة . اما اذناى فازدادتا ظنيناً . واحسست ان رأسي جسم غريب ركب مؤقتاً بين كتفي . نزلت الدرج وعدت الى غرفتي فألمت بي نوبة من الارتعاش شديدة اقمعدتني بضع دقائق وانا ارتجف حتى اطرافي . وكنت اثناء ذلك احس بموجات حارة تتاوج في داخلي وبالاخص في جوار المعدن

قفلت في نفسي قد عضك الجوع يا رجل . قد دنوت من اخوانك في الوطن . نعم بدأت في اليوم الثاني اشعر بالجوع واتألم من شعوري . فهذا الضعف في رجلي وبالاخص في مفاصلي وركبتي ان هو الا احتجاج المعدة على صاحبها ، بل على باربيها ، بل على من في ايديهم خزائن الارض المسئولين عن توزيع خيرات الدنيا على عباد الله

مررت بركوة القهوة ثانية فوقفت امامها راغباً متردداً . ثم امتنعت لاني آليت على نفسي ان اصوم يومين كاملين . وفي البيت المقيم فيه اناس في الدور الاسفل يطبخون طعامهم فتصاعد احياناً روائح المطبوخات فتسطع

في منزلي وتزعجني جداً . ولكن اليوم يوم الصوم والجوع - فان امرأ يقتر شواء يتصاعد صوت نشيشه من فوق النار الى منزلي لاحب عندي من مطرب او مطربة . وان روائح الشواء والابازير في انفي لالذ من روائح المسك والبخور .

ولت ساعة الفطور وولى معها مضض الجوع ولا غرو ، فان للعادة حتى في الاكل كما قلت تأثيراً شديداً فينا . اذ ما السبب يا ترى في رغبتى بالطعام في ساعات اعتدنا ان نتناوله فيها وفي نسيانه بل الرغبة عنه في الفترات بينها ؟ اما الفكر مني ففي اليوم الاول من صومي كان لم يزل رائقاً صافياً ، ولكنه في اليوم الثاني اصبح خاسئاً حسيراً

ومن غريب امر الصوم ايضاً ان الذي يصوم يومين يستطيع ان يصوم خمسة بل عشرة ايام وصلاً . فانا في مساء اليوم الثاني لم اشعر بشهوة الى الاكل شديدة كسأء اليوم الاول . وقد قرأت اخبار اناس صاموا اسبوعين وثلاثة دون ان يتعطل فيهم عضو من اعضائهم الحيوية كالكبد او الكليتين او الرئة او القلب .

ومعلوم ان الاقدمين كانوا يكثر من الصوم والتنحس . وقد قال ابن خلدون - « وقد شاهدنا من يصبر على الجوع اربعين يوماً وصلاً » . على انه لا ينكر ان الصوم اياماً وصلاً يفقد المرء قواه الجسدية والعقلية فان العضلات والاعصاب لتتقلض وتذوب من الاقتيات مما كوت منه وان العقل ليخسأ ويمرض من تشرب دم لا غذاء فيه . اي ان الصائم طويلاً

الطاوي اياماً يعيش على لحمه ودمه ، يأكل بالحقيقة نفسه . نعم اخواني ، ان الجائع يعيش على لحمه ودمه ، والجائع كرهاً يقاسي من مضض الذل - ذل الحاجة وذل الطلب - ما هو اشد من مضض الجوع

ككتبت مرة نبذة انتقد فيها بعض التعابير العربية التي نرددها نحن الكتاب وقلما نتحقق تمام معناها . من جملتها قولنا . « الجوع المدقع » فاستغربت اذ عدت الى القاموس النعت وقلت ان لا احد يجوع جوعاً يلصقه بالدقماً ، اي التراب . فهما اشتدت سورة الجوع لا تبلغ درجة يصح ان نعتها بالدقوع ، ولكني تحققت اليوم خطأي ، فان الجوع يوهن ، يهزل ، يهلك ، يقعد ، يهلك . واذا كان الجائع هائماً في البرية يطلب الاعشاب يقتات بها فليس من الغريب ان يسقط في الطريق من شدة الجوع . نعم رأيت كلاب السوق في الشرق في جوع ألصق بطونهم ووجوههم بالتراب ، وكنت اجل البشر عن ذلة الكلاب وجوعهم .

فوا اسفاه ! اننا لتتحقق اليوم من حال بلادنا صحة التعبير العربي بل نحققنا التقصير فيه لا الغلو . مئات بل الوف من اخواننا مطروحون اليوم في الطرق والاسواق تتلاشى اجسامهم عضواً عضواً . عيونهم شاخصة الى الشمس نهاراً الى السماء والنجوم ليلاً . يسألون باري الاكوان كسرة من الحبز . قلوب واجفة ، ابصار خاشعة ، نفوس حزينة حتى الموت ، معد تلتصق بالاضلع منهم كما تلتصق اجسامهم بالدقماً - بالتراب . في فهم المرأة الصفراء - مر الحياة - يتلمونها ثم يتلمونها ، في اعصابهم المتقلصة غمص

الرعشة ، في اجسامهم المرض والوهاء

شيوخ واطفال ، نساء ورجال ، يسارعون الى المدينة من الجبال عليهم
يلتقطون في اسواقها ومن فضلات ذوي السيارات فيها كسرة من الخبز فيتساقطون
في الطرق كورق الخريف وقد استحوذ عليهم الجوع المدقع . أفلا تشاركهم
جوعهم يوماً واحداً ايها السوري ! أفلا تمدهم بنفقة يوم من ايام يسرك !
ووالله لو مرّ بهؤلاء المناكيد الجياع وحش ضار او عقاب كاسر لمال
بوجهه عليهم ، لرثى لحالمهم . واننا نعلم ان في الحيوان غريزة هي اشرف من
غريزة الانسان التي افسدتها المدنية والتكالب فيها . فمن الطيور من يطعم
صغارها من قلبها اذا لم تجد لهم رزقاً .

فيا ايها السوري النائي عن اخوانك المنكوبين جئت اخبرك خاشعاً لا
مفاخرأ اني صمت يومين فانكني . اعدني يوم واحد من الجوع . فكيف
بن يصومون اياماً بل اسابيع ؟ اليوم ! اليوم ! من كان غنياً فليستعفف !
من كان متردداً في التبرع فليتقدم ! من كان متقاعداً فلينهض ! من كان
في سبات فليستفق ! وما الفائدة من القول غداً غداً فان مثل هؤلاء المستحجرة
قلوبهم بلو حون بثر بدتهم للجائع الاقرب الى الضاري من الحيوان منهم
الى الانسان .

قد نعم الله بالبلوى وان عظمت وبيتلي الله بعض القوم بالنعم
الصوم ! التقشف يوماً واحداً ! تملكون تلك النفس منكم الشارحة الى
اللذات فان مثل هذه السيادة على انفسكم لاشرف من وجاهة يجرها لكم

المال . صوموا يوماً واحداً وتصدقوا علينا بدولارين مما رزقتم . الامة امتنا
جائية على قارعة الطريق تنن من ألم الجوع - الجوع المدقع ، الجوع المهلك .
فهلا تسارعنا ، بل تسابقنا الى اغاثتها ؟ « أليس بلسان في جمعاد ؟ »

ابن
الريحاني



من يسير ما تنفقه على الملاذ في المطاعم والمشارب ، ومن قليل ما تصرفه
على الملابس الفاخرة ، نجد على ابن جنسك الساقط في ساحة البلاء حيث
ينكر الاخ اخاه ، والابن اباه ، ايها المعطر اردانه ، المفاخر اخوانه ، المعجب
بلباسه ، الجائر على ناسه ، الراكب العربة يقودها زوج من الخيل العتاق ،
الساكن القصر المشيد ، اللابس الحرير ، الاكل الفالوذج ، الشارب
انواع الراح .

ومن قليل ما تنفقين على باطل الزينة ، وزائل التحسين ، ونزر ما تبذلين
في اقتناء الحلوى والحلل ، ايتها المفاخرة بزيتها ، المنافسة في حلتها ، جودي
وابسطي يدك البيضاء بالعطية البيضاء واحسني وانت حسناء ، فخير الاحسان
ما كان مع الاحسان ، وخير الاحسان ما كان في اعانة الانسان .
اديب اسحق